مُقدِّمة
كتاب الأحكام

تأليف

الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم
بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام..

(٢٤٥ - ٢٩٨هـ)

مقدمة
كتـــاب الأحكـــام

للإمام الهادي إلى الحق

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن

الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

(٢٤٥-٢٩٨هـ)

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن الإمام الهادي إلى الحق

نسبه :

هو أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمه أم الحسن بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

مولده ونشأته :

ولد بالمدينة سنة ٢٤٥هـ، ونشأ في حجر والده؛ وتعلم على يده وعلى يد عمه محمد بن القاسم بن إبراهيم؛ فنشأ على العلم والعبادة حتى صار عَلَمًا من أعلام أهل البيت عليهم السلام. قال المرتضى بن الهادي: إن والده بلغ من العلم مبلغًا يختار عنده ويصنف، وله سبع عشرة سنة!.

ثناء العلماء عليه :

قال الناصر الأطروش عند ذكره: ذاك والله من أئمة الهدىٰ. ولما بلغه وفاة الهادي عليه السلام بكىٰ بنحيب ونشيج، وقال: اليوم انهد ركن الإسلام!.

قال الحاكم الجشمي: كان الهادي جَامعًا لشروط الإمامة، ويُضْرَبُ به المثل في الشجاعة. ابتلي بحرب القرامطة، وكان له معهم ثلاث وسبعون واقعة.

قال العامري في الرياض المستطابة: كان مجيئه إلىٰ اليمن وقد عَمَّ بها مذهب القرامطة الباطنية؛ فجاهدهم جهادًا شديدا، وجرىٰ له معهم نيف وثمانين وقعة لم ينهزم في شيء منها!! وكان له علم واسع، وشجاعة خارقة! وقد أقام علىٰ الجهاد ثماني عشرة سنة.

ورعه :

كان من ورع الإمام الهادي أنه يترك بعض ما يحل له تورعًا عنه، وتنزهًا منه.

من ذلك: أنه يحل له الأخذ من جزية النصارىٰ واليهود، وله أن ينفقه فيما أحب، ومع ذلك فكان لا يأكل منهما ولا يشرب تَوَرُّعًا عنها، وتزهدًا فيها.

وقد ذكر مصنف سيرته كثيرًا من المواقف التي تدل علىٰ ورعه.

دعوته ودخوله اليمن :

وصل إلىٰ اليمن سنة ٢٨٠هـ بدعوة من بعض الزعماء اليمنيين؛ ليتولىٰ الإمامة؛ وليقوم بإخماد الفتن، حتىٰ بلغ موضعًا يقال له: الشَّرَفَةُ من قرىٰ بني حشَيْش شرق صنعاء، وأقام مدة يسيرة ؛ إذ خذله أهل البلاد، وغلب العصيان لله والخذلان له ؛ فعاد إلىٰ الحجاز؛ وَلَمَّا عَمَّت المِحَنُ أَهْلَ اليمن - كتبوا إليه يخبرونه بتوليتهم له؛ فوصلت كتبهم إليه في ذي القعدة سنة ٢٨٣هـ؛ فأزمع علىٰ إجابتهم، وقد وَدَّعَهُ سادات أهله وأكابرهم، وفيهم عَمُّهُ العالم النحرير محمد بن القاسم؛ فقال له عند وداعه: يا أبا الحسين، لو حَمَلَتْني رُكْبَتَايَ لجاهدت معك! يا بني أشركنا الله في كل ما أنت فيه في كل مشهد تشهده، وكل موقف تقفه.

وصل الهادي عليه السلام إلى صعدة في ٧ صفر سنة ٢٨٤هـ؛ فأصلح بين أهلها، وصاروا ببركته إخوانًا ؛ فنشر العدل، وكان يتفقد كثيرا من الأمور بنفسه، جَمَّ التَّوَاضُع، شَديدَ التفقد لأحوال المسلمين، حَسَنَ الإنصاف للمظلومين.

قال العلوي مصنف سيرة الهادي [٦٢]: رأيته ليلة وقد جاءه رجل ضعيف يستعدي على قوم؛ فدق الباب؛ فقال: من يَدُقُّ البابَ في هذا الوقت؟! فقال له رجل كان على الباب: هذا رجل يستعدي؛ فقال: أدخله؛ فاستعدى؛ ووجه معه في ذلك الوقت ثلاثة رجال يحضرون معه خصماءه!. وقال لي: يا أبا جعفر، الحمد لله الذي خَصَّنَا بنعمه، وجعلنا رحمة لخلقه، هذا رجل يستعدي في هذا الوقت! لو كان واحدا من هؤلاء الظلمة ما دنا إلى بابه في هذا الوقت مُسْتَعْد! ثم قال: لَيْسَ الْإِمَامُ منَّا مَن احْتَجَبَ عَن الضَّعيف في وَقْت حَاجَة مُلظَّة.

وحكم الإمام الهادي أَكْثَرَ اليمن الشمالي وبعض الحجاز، وخُطبَ له بمكة سبع سنين.

ومن أقواله: أيها الناس إني أشترط لكم أربعًا:

١ -الْحُكْمَ بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

٢ -والْأَثَرَةَ لكم على نفسي فيما جعله الله بيني وبينكم.

٣ -وأُوثِرُكُمْ؛ فلا أتفضل عليكم، وأقدمكم عند العطاء قبلي.

٤ - وأتقدم أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي.

وأشترط لنفسي عليكم اثنتين:

١ - النصيحة لله سبحانه ولي: في السر، والعلانية.

٢- والطاعة لأمري على كل حالاتكم ما أطعت الله؛ فإن خالفت كتاب الله فلا طاعة لي عليكم، وإن ملْتُ أو عَدَلْتُ عن كتاب الله وسنة رسوله؛ فلا حجة لي عليكم ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

شعره :

له شعر في نهاية الحسن والفصاحة، وقد ذكر مصنف سيرته بعض أشعاره منها:

فَمَا الْعِزُّ إِلَّا الصَّبْرُ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى ... إِذَا بَرَقَتْ فِيهَا السُّيُوفُ اللَّوَامِعُ

هَلِ الْمُلْكُ إِلَّا الْعِزُّ وَالْأَمْرُ وَالْغِنَى ... وَأَفْضَلُهُمْ مَنْ هَذَّبَتْهُ الطَّبَائِعُ

وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَحْمِي وَيَنْقُمُ ثَأْرَهُ ... وَمَنْ هُوَ فِي الْحَالَاتِ يَقْظَانُ هَاجِعُ

يُقَلِّبُ بَطْنَ الرَّأْيِ فِيهِ لِظَهْرِهِ ... وَيَمْضِي إِذَا مَا أَمْكَنَتْهُ الْمَقَاطِعُ

وَنَحْنُ بَقَايَا الْمُرْهَفَاتِ وَسُؤْرُهَا ... إِذَا كَانَ يَوْمًا ثَائِرُ النَّقْعِ سَاطِعُ

يَمُوتُ الْفَتَى مِنَّا بِكُلِّ مُهَنَّدٍ ... وَأَسْمَرَ مَسْنُونِ الشَّبَا وَهْوَ دَارِعُ

فَتِلْكَ مَنَايَانَا وَإِنَّا لَمَعْشَرٌ ... مِنَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا النُّجُومُ الطَّوَالِعُ

أَبُونَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَجَدُّنَا ... رَسُولُ الَّذِي مِنْهُ تَتِمُّ الصَّنَائِعُ

نَهَضْتُ وَلَمْ أَعْجِزْ وَقُلْتُ مَوَاعِظًا ... ذَخَائِرَ عِلْمٍ إِنْ وَعَاهُنَّ سَامِعُ

فَكَمْ قَائِلٍ فِي نَفْسِهِ وَضَمِيرِهِ ... أَيَا وَاعِظًا فِي ذَا كَلَامُكَ ضَائِعُ

فَكَيْفَ غَنَاءُ الْكَفِّ عِنْدَ اجْتِهَادِهَا ... إِذَا لَمْ تُعِنْهَا بِالْفِعَالِ الْأَصَابِعُ

بَنَيْتُ لَهُمْ بَيْتًا مِنَ الْمَجْدِ سَمْكُهُ ... دُوَيْنَ الثُّرَيَّا فَخْرُهُ مُتَتَابِعُ

فَأَضْحَىٰ لَهُمْ عِزٌّ بِهِ وَمَفَاخِرٌ ... وَذِكْرٌ وَمَجْدٌ شَامِخُ الْفَضْلِ يَافِعُ
نَعَشْتُ كِتَابَ اللهِ بَعْدَ هَلَاكِهِ ... فَلَيْسَ بِغَيْرِ الْحَقِّ يُزْمِعُ زَامِعُ

وقال عليه السلام في بعض وقائعه:

أَلَا للهِ عَيْنٌ مَنْ رَآنَا كمهتهع ... وَأَشْبَاهَ الْكِلَابِ لَدَىٰ الْقِتَالِ
وَقَدْ سِرْنَا إِلَيْهِمْ فِي جُيُوشٍ ... مُظَفَّرَةٍ تَزِفُّ إِلَىٰ النِّزَالِ (١)
بِأَيْدِيهِمْ بَوَاتِرُ قَاطِعَاتٌ ... تُزَاحُ بِهِنَّ أَقْحَافُ الْقِلَالِ
إِذَا مَا حُكِّمَتْ فِي الْقَوْمِ يَوْمًا ... أَطَاعَ لِحُكْمِهَا غُلْبُ الرِّجَالِ
وَسُمْرٌ رُكِّبَتْ فِيهَا الْمَنَايَا ... فَحَلَّ الْمَوْتُ فِي رُوسِ الْعَوَالِي
وَزُورٌ عُكِّفَتْ لِلْحَرْبِ صُفْرٌ ... عَلَىٰ أَكْبَادِهَا زُرْقُ النِّصَالِ
إِذَا مَا قَابَلَتْ جَيْشًا أَحَلَّتْ ... بِهِمْ مِنْ وَقْعِهَا أَنْكَىٰ النَّكَالِ
تَرَنَّمُ فِي الصُّفُوفِ إِذَا تَدَانَتْ ... وَيُذْهِبُ وَقْعُهَا كَذِبَ الْمَقَالِ

(١) **الزفيف**: السير السريع؛ قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ﴾[الصافات: ٩٤]: أي يسرعون.

فَصَبَّحْنَاهُمُ بِالْخَيْلِ قَبَّا[1] ... تَرَامَى فِي الْأَعِنَّةِ كَالسَّعَالِي

مُجَعِّفَةٌ بِثَأْرِ الْحَقِّ قَامَتْ[2] ... فَنَالَتْ مِنْهُمُ كُلَّ الْمَنَالِ

عَلَيْهَا كُلُّ أَرْوَعَ مُصْرِخِيٍّ ... تَسَرْبَلَ سَابِغَ الْحَلَقِ الْمُذَالِ[3]

نَخُوضُ الْمَوْتَ إِنْ مَوْتٌ تَدَانَى ... وَنَصْرَعُهُمْ بِلَمَّاعِ الصِّقَالِ

فَأَعْذَرْنَا وَلَمْ نَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ... وَخَيَّرْنَاهُمُ كُلَّ الْخِصَالِ

وَقُلْتُ أَلَا احْقِنُوا عَنِّي دِمَاكُمْ ... وَإِنْ لَا تَحْقِنُوهَا لَا أُبَالِي

وَلَسْتُ بِمُسْرِعٍ فِي ذَاكَ حَتَّى ... إِذَا مَا كُفْرُ كَافِرِكُمْ بَدَا لِي

وَحَلَّتْ لِي دِمَاؤُكُمْ بِحَقٍّ ... وَإِخْرَابُ السَّوَافِلِ وَالْعَوَالِي

---

(١) **الْقَبُّ**: حِكَايَةُ وَقْعِ السَّيْفِ عند القتال، مِنَ الْقَبْقَبَةِ وَهُوَ التَّصْوِيتُ. و**القَبُّ أيضا**: القطع. و**الْقُبَابُ** من السيوف: القاطع. تاج العروس ٢/ ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) **جَعَفَ الشَّجَرَةَ**: قَلَعَهَا من الأرض وَقَلَبَهَا. تاج العروس ١٢/ ١١٤.

(٣) **يقال**: درع ذَائِلٌ وَذَائِلَةٌ ومُذَالَةٌ أي طويلة الذيل، **وهو** كل حلقة رقيقة لطيفة. اللسان ١١/ ٢٦٠.

ومنها قوله عليه السلام:

أَنَــا ابْــنُ مُحَمَّــد وَأَبي عَــلِيٌّ ... وَجَــدِّي خَــيْرُ مُنْتَعــل وَخَــالي
بحَــذْوهمُ لَعَمْــرُكُمُ احْتــذَائي ... كَــمَا يَحْــذُو الْمِثَــالُ عَــلَى الْمِثَــال
أَنَــا الْمَــوْتُ الَّــذي لَا بُــدَّ منْــهُ ... عَــلَى مَــنْ رَامَ خَــدْعي وَاغْتيَــالي
وَغَيْــــثٌ لِلْــــوَلِيِّ إِذَا وَلِيٌّ ... أَتَــاني يَبْتَغــي منِّــي نَــوَالي
أَخُــوضُ إِلَى عَــدُوِّي كُــلَّ هَــوْل ... وَأَصْــبرُ عنْــدَ مُعْــتَرَكِ النِّــزَال

وفاته :

توفي يوم الأحد ٢٠ ذي الحجة ٢٩٨هـ، ودفن يوم الثلاثاء بصعدة، وقبره مشهور مزور.

مؤلفاته :

بدأ التصنيف وعمره سبع عشرة سنة، نذكر منها ما يلي:

١ - الأحكام.

٢ - المنتخب في الفقه أيضا.

٣- الفنون في الفقه مهذب ملخص.

٤- الرضاع (طبع ضمن المنتخب والفنون).

٥- البالغ المدرك: وهو قطعة لطيفة، فيها كلام كأنه الروض ملاحة ونضارة، والسحر لطافة.

٦- المنزلة بين المنزلتين.

٧- الجملة.

٨- الديانة.

٩- التوحيد .

١٠- جواب مسائل الحسين بن عبدالله الطبري.

١١- جواب مسألة الرجل من أهل قم.

١٢- تفسير العرش والكرسي.

١٣- جواب لأهل صنعاء.

١٤- كتاب أصول الدين.

١٥- الرد على من زعم أن القرآن قد ذهب بعضه.

١٦- جواب مسائل متفرقة سأله عنها ابن المرتضى.

١٧ – مسائل محمد بن عبيدالله.

١٨ – الرد على سليمان بن جرير.

١٩ – كتاب دعوة وجه بها إلى أحمد بن يحيى بن زيد.

٢٠ – كتاب القياس.

٢١ – الرد على ابن الحنفية في الكلام على الجبرية، وفيه من الأدلة القاطعة والإلزامات النافعة ما يقضي بأنه السابق في الميدان، المبرز على الأقران.

٢٢ – تفسير خطايا الأنبياء.

٢٣ – مسائل أبي القاسم الرازي.

٢٤ – معرفة الله عز وجل. وكلها مطبوعة ضمن مجموع رسائل الإمام الهادي يحيى بن الحسين بتحقيق عبدالله بن محمد الشاذلي.

٢٥ – المسائل.

٢٦ –مسائل محمد بن سعيد.

٢٧ – المزارعة.

٢٨- أمهات الأولاد.

٢٩- الولاء.

٣٠- المسترشد (طبع).

٣١- الرد على أهل الزيغ.

٣٢- الإرادة والمشيئة.

٣٣- بوار القرامطة.

٣٤-أصول الدين.

٣٥- الإمامة وإثبات النبوءة والوصية.

٣٦-الرد على الإمامية.

٣٧- الخشية. ٣٨- الرد على ابن جرير.

٣٩- تفسير القرآن.

٤٠- الفوائد جزءان، وغيرها.

المراجع: سيرة الإمام الهادي لعلي بن محمد بن عبيدالله العلوي، تحقيق: سهيل زكار، والمصابيح لأبي العباس الحسني٥٦٧-٥٨٩، والإفادة ١٠١، والحدائق الوردية ٢/ ٢٥، وعمدة الطالب ٢٠٤،،

والشافي ١/ ٨٣٨-٨٥٣، والفلك الدوار ٣٣، ومطمح الآمال ٢١٥، وإجازات أحمد بن سعد الدين المسوري(خ)، ولوامع الأنوار ١/ ٤٥١، والتحف ١٠١، والزيدية لمحمد أبي زهرة ٥٠٩-٥١٦، وتاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٤، وتاريخ اليمن للواسعي ١٧٨وأعلام المؤلفين الزيدية ١١٠٣، وأئمة اليمن ٥-٥٢، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/ ٣٥٢، وتاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، لأحمد حسين شرف الدين ٢٢٧-٢٢٩، والإمام زيد لمحمد أبي زهرة٥٠٩، ومقدمة مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق، تحقيق: عبدالله الشاذلي.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة كتاب الأحكام

الحمد لله الذي لا تراه العيون، ولا تحيط به الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا يَجْزِيْ أنعمه العاملون، المحمود على السراء والضراء، والشدة والرخاء، الذي ليس له حَدٌّ يُنَالُ، ولا شِبْهٌ تُضْرَبُ له به الأمثال، وهو ذو القوة والقدرة والمحَال، الذي دنا فنأى، وأحاط بالأشياء -تقدست أسماؤه- علمًا وخُبْرًا، وفطرها كيف شاء فطرًا، فلم يمتنع من مفطوراتها -سبحانه - عليه مفطور، ولم يستتر عنه من محجوبات سرائرها مستور، بل علمه بما سيكون من كل مُكَوَّن، كعلمه بما كان وظهر وتَبَيَّنَ، لا يخفى عليه شيء مما تنطوي عليه الجوانح والقلوب، ولا يحتجب عنه شيء من خفيات الغيوب، الذي نبتت بأمره الأشجار، واستقلت بقدرته الأقطار، وزخرت بقوته البحار، وهطلت بمشيئته

الأمطار. وأشهد أن لا إله إلا الله حقًّا حقًّا، أقولها تعبدًا له - سبحانه- ورقًّا، مقالة مخلص من العباد قائل صدقًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى خلقه، وأمينه على وحيه، أرسله برسالاته فبلغ ما أمر بتبليغه، وجهد لربه، ونصح لأمته، وعبد إلهه حتى أتاه اليقين، جاهدًا مجتهدًا، ناصحًا صابرًا محتسبًا متعبدًا، حتى أقام دعوة الحق، وأظهر كلمة الصدق، ووحد الله جهارًا، وعبده ليلًا ونهارًا، ثم قبضه الله إليه وقد رضي عمله، وتقبل سعيه، وشكر أمره؛ فعليه أفضل صلاة المصلين، وعلى أهل بيته الطيبين.

ثم نقول من بعد الحمد لله والثناء عليه، والصلاة على محمد ﷺ: أما بعد: فإنا نظرنا في أمورنا وأمور مَنْ نُخَلِّفُهُ من بعدنا: من أولادنا وإخواننا، وأهل مقالتنا، ممن يميل إلى آل الرسول صلى الله عليه وعليهم، ويتعلق بحبلهم، ويتمسك بدينهم، وينتحل ولايتهم، ويقول بما أوجب الله عز وجل عليه من تفضيلهم.

فلما أن نظرنا في ذلك عَلِمْنَا أَنَّا ميتون، وإلى الله صائرون، ومن

دار الغرور خارجون، وإلى دار المجازاة آيبون، وإلى المناقشة والحساب راجعون، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وَعَلِمْنَا ما قد زخرفه بعض الجهلة المخالفين، لآل الرسول صلى الله عليه وعليهم أجمعين، المُدَّعينَ للعلم والتمام، وقالوا فيه بأهوائهم، وتركوا الاقتداء بعلمائهم، الذين أمرهم الله بالاقتداء بهم من أهل بيت نبيهم، الذين أُمرُوا بقصدهم وسؤالهم؛ وذلك قول الله سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء:٧]؛ وأهل الذكر: فهم آل محمد: الذين أنزل الله عليهم الكتاب، وهُدُوا به إلى القول بالصواب؛ فرفضوا آل الرسول ظلمًا وطغيانًا، وَأَبْدَوْا لله في ذلك خلافًا وعصيانًا! وقالوا في كل نازلة نزلت من حلال أو حرام بأهوائهم؛ اجتراءً على ذي الجلال والإكرام، وتَعَمُّدًا في ذلك لخلاف آل محمد عليهم السلام، وجَنَبُوا في كثير من أقاويلهم عن الكتاب والسنة والمعقول؛ فتبارك الله ذو الجلال والطَّوْل!

ثم لم يقتصروا على ذلك؛ حتى كَفَّرُوا من لم يكن كذلك! فكلهم

يدعو الجهال إليه، ويزعم لهم أن الصواب في يديه، وهو مُجَنِّبٌ عن الحق، جَائرٌ عن طريق الصدق، يَعْنِدُ عن الحق والهدىٰ، ويتبع الغي والهوىٰ، قد صَدُّوا عن الله عبَادَهُ، وأظهروا جهارًا عنَادَهُ، وأزاحوا الحق عن مَغْرسه الذي اختاره الله له؛ فجعله الله سبحانه ورَكَّبَهُ لعلمه به فيه، وبنىٰ دعائم الدين عليه؛ وذلك قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾[القصص:٦٨] ؛ ويقول: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ﴾[الأنعام:١٢٤] ؛ ويقول: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾[فاطر:٣٢].

فرأينا أن نضع كتابًا مستقصىٰ فيه أصول ما يُحْتَاجُ إليه من الحلال والحرام، مما جاء به الرسول ﷺ؛ ليَعْمَلَ به ويَتَّكلَ عليه من ذكرنا، ولا يَلْتَفتَ إلىٰ ما في أيدي الجهلة الضُّلَّال، أَهْل التَّكَمُّه[1] في المُحَال، ذوي الغي والإيغال.

(١) في بعض النسخ: أهل الكمه، والكمه التوغل. وتكمه في الأرض ذهب متحيرا ضالا لا يدري أين يتجه. المعجم الوسيط ٢/ ٧٩٩.

فكان أول ما ينبغي لنا أن نذكره ونصفه، وندل عليه ونشرحه- تَوْحيدُ ربنا، والْقَوْلُ بالحق في خالقنا؛ فقلنا: (إن أول ما ينبغي) لمن أراد التخلص من الهلكة والدخول في (باب) النجاة- أن يعلم أن الله وَاحدٌ أَحَدٌ، ليس له شبْهٌ ولا ندٌّ ولا نَظيرٌ؛ وأنه سبحانه على خلاف ما يتوهم المتوهمون، أو يظن المتظننون؛ فينفي عنه جل جلاله عن أن يحويه قول، أو يناله شَبَهُ خلقه، وكل ما كان فيهم ولهم من الأدوات والآلات: من الأيدي، والأرجل، والوجوه، والألسن، والشفاه، والأسماع والأبعاض، والأعين، حتى يخرج من قلبه، ويَصحَّ في عقله وعقده- أنه بخلاف ما ذكرنا من خلقه، ويَعْلَمَ أن لكل ما ذكر الله من ذلك في نفسه مَعْنًى وتأويلًا مَعْرُوفًا عند أهل التنزيل الذين اؤتمنوا عليه، وأمروا بالدعاء إليه والقيام فيه.

وقد فسرنا جميع ما يحتاج إليه من ذلك في كتاب التوحيد، الذي وضعناه لمن أراد معرفة الله من جميع العبيد؛ فإذا علم ذلك، وصح عنده كذلك، ونفى عن الله تعالى شَبَهَ خلقه: ما عظم منه وما صغر، وما دق وما كبر- وجب عليه أن يعلم: أن الله – سبحانه،

(وعز) وجل عن كل شأن شأنه - عَدْلٌ في جميع أفعاله، وأنه بَرِئٌ من مقال الجاهلين، متقدس عن ظلم المظلومين، بعيد عن القضاء بفساد المفسدين، متعال عن الرضا بمعاصي العاصين، برئ من أفعال العباد، غَيْرُ مُدْخل لعباده في الفساد، ولا مُخْرج لهم من الخير والرشاد؛ وكيف يجوز ذلك على حكيم، أو يكون من صفة رحيم؟! فتعالى الله عن ذلك، وتقدس عن أن يكون كذلك؛ وكيف يقضي بالمعاصي وهو ينهى عنها ويذم العاصين، ويأمر بالطاعة ويشكر المطيعين ؟! ولو كان كذلك لَمَا سَمَّى وَلَا دَعَا أحدًا ممن خلق بالعصيان ؛ بل كانوا كُلُّهُمْ عنده (سبحانه) في حد الطاعة والإيمان؛ إذ قَوْلُهُ الصِّدْقُ، وفعْلُهُ الْحَقُّ؛ لأنه لو كان قضى بالفجور والكفر على الكافرين، وبالتقى والإيمان على المؤمنين- لكان كل عباده - سبحانه- لأمره مطيعين، ولقضائه مُنَفِّذينَ، وفي إرادته ساعين، وَلَمَا كان يُوجَدُ في الخلق ذو عصيان، بل كان كلهم ذا طاعة لله وإيمان؛ فإذا علم أن الله سبحانه لا يقضي بالفواحش والمنكر، ولا يشاء غير ما به من الطاعة أمر؛

وفي ذلك ما يقول ذو الجلال والطَّوْل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٢٨] ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠] وجب عليه أن يعلم أن كل ما وَعَدَ وَأَوْعَدَ الوَاحدُ ذو الجلال الصمد حَقٌّ لا مرْيَةَ فيه ، ولا لَبْسَ من الحساب والحشر ، وما أعد الله للمؤمنين من الثواب، وأعد للكافرين من العقاب، وَأَنَّ مَنْ دخل الجنة أو النار من الأبرار أو الفجار؛ فإنه غير خارج من أيهما صار إليها، وحَلَّ بفعله فيها أَبَدَ الأبد، لا ما يقول الجاهلون: من خروج المعذبين من العذاب المهين، إلى دار المتقين ومحل المؤمنين؛ وفي ذلك ما يقول رب العالمين: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[النساء: ٥٧]؛ ويقول عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[المائدة:٣٧]؛ ففي كل ذلك يخبر أن كل من دخل النار فهو مقيم فيها غَيْرُ خارج منها، منْ بعد مصيره إليها؛ فنعوذ بالله

من الجهل والعمى، ونسأله العون والهدى؛ فإنه ولي كل نعماء، ودافع كل الأسواء.

فإذا عرف ذلك واعتقده؛ فقد صحت له معرفة خالقه، وصار – بإذن الله – بالله من العارفين، وله سبحانه من الموحدين، القائلين على الله بالحق واليقين.

فحينئذ يجب عليه أن يعلم أَنَّ كل ما جاء به الرسول ﷺ، وشرعه من حلال أو حرام، أو سنة أَوْكَدَهَا، وعلى الأمة فَرَضَهَا – فَرْضٌ من ذي الجلال والإكرام؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الحشر:٧] ؛ وقوله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[التغابن:١٢]؛ وأنه لم يفرض ولم يقل من الأمور صغيرًا ولا كبيرًا إلا وهو لله رضًى، وأنه ﷺ قد نصح لله في عباده، وأصلح جاهدًا له في بلاده، حتى قبضه الله إليه راضيًا عنه، قابلًا لذلك منه، وأنه لم يترك الأمة في عمياء من أمرها، بل قد أوضح لها جميع أسبابها، وَدَلَّهَا على أبواب نجاتها، وَشَرَعَ لها ما تحتاج إليه من (جميع) أمورها: بالدلالات النيرات،

والعلامات الواضحات، والإشارات الكافيات، والأقاويل الصادقات؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال:٤٢].

فإذا فَهِمَ ذلك، وكان في ضمير قلبه كذلك- وجب عليه أَنْ يعرف ويفهم، ويعتقد ويعلم أَنَّ ولاية أمير المؤمنين، وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام واجبةٌ على جميع المسلمين، فَرْضٌ من الله رب العالمين، ولا ينجو أحد من عذاب الرحمن، ولا يتم له اسْمُ الإيمان، حتى يعتقد ذلك بأيقن الإيقان؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥]؛ فكان ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، دون جميع المسلمين؛ إذ كان المُتَصَدِّقَ في صلاته، المؤدي لما يُقَرِّبُهُ من ربه من زكاته.

وفيه ما يقول الرحمن، فيما نزل من واضح الفرقان ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[الواقعة:١٠-١٢]؛ فكان السابق إلى ربه غير مسبوق.

وفيه ما يقول تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[يونس:٣٥]؛ فكان الْهَادِيَ إلى الحق غَيْرَ مُهْدَى، والدَّاعيَ إلى الصراط السوي، والسالكَ طريق الرسول الزكي؛ وَمَنْ سبق إلى الله، وكان الْهَادِيَ إلى غامض أحكام كتاب الله- فهو أحق بالإمامة؛ لأن أسبقهم أهداهم؛ وأَهْدَاهُمْ أتقاهم؛ وأتقاهم خَيْرُهُمْ؛ وخَيْرَهُمْ بكل خير أَوْلَاهُمْ؛ وما جاء له من الذكر الجميل، في واضح التنزيل- فكثير غير قليل.

وفيه أنزل الله على رسوله بغدير خم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة:٦٧]؛ فوقف صلى الله عليه وآله وسلم وقطع سيره، ولم يَسْتَجِزْ أن يتقدم خَطْوَةً وَاحِدَةً، حتى ينفذ ما عزم به عليه في علي عليه السلام؛ فنزل تحت الدوحة مكانه، وجمع الناس، ثم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَسْتُ أَوْلَى بكُمْ منْ أَنْفُسكُمْ»؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله؛ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ كُنْتُ

مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ»[1].

---

(١) المناقب للكوفي ٢/ ٤٠٢ رقم ٨٨٠، وأمالي أبي طالب ص ٨٤ رقم٤١، وصحيفة الرضا ٥٦، والاعتبار وسلوة العارفين ٥٩٩ رقم ٤٩٣، والأمالي الصغرىٰ ٩٠ رقم ١١. وحديث الغدير روي بألفاظ كثيرة وهو متواتر، وقد ذكره السيوطي في الأحاديث المتواترة ٣٧/ ١٠٠. وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء٥/ ٤١٥: الحديث ثابت بلا ريب، وقال في ٨/ ٣٣٤: متنه متواتر. وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ٢/ ٧١٣ في ترجمة محمد بن جرير الطبري: ولما بلغ ابن جرير أن ابن أبي داود تكلم في حديث غدير خم عمل كتاب الفضائل، وتكلم علىٰ تصحيح الحديث. قال الذهبيُّ: رأيتُ مجلدًا من طرق الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرة تلك الطرق. قال السيد الهادي بن إبراهيم الوزير في نهاية التنويه ص ٩٢: هذا الخبر قد بلغ حد التواتر، وليس لخبر من الأخبار ما له من كثرة الطرق، وطرقه مائة وخمس طرق، وفي هذا زيادة علىٰ الحد المعتبر في التواتر. قال محمد بن جرير الطبري: خبر الغدير طرقه من خمسين وسبعين طريقًا، وله كتاب سماه الولاية. وقال ابن عقدة: خبر الغدير له مائة وخمس طرق، وقد أفرد له كتابا أيضًا. قال المقبلي في الأبحاث المسددة ٢٤٤ بعد ذكر رواته: وهو متواتر، فإن كان مثل هذا معلومًا، وإلا فما في الدنيا معلوم!. قال ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٧٤: وهو كثير الطرق جِدًّا، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان. وقد روي من عدة طرق استوفينا تخريجها في كتابنا السيرة النبوية فراجعها هناك.

وفيه يقول ﷺ: «عَلِيٌّ منِّي بمَنْزِلَة هَارُونَ منْ مُوسَى، إلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدي»[1]؛ وفي ذلك دليل على أنه قد أوجب له ما كان يجب لهارون مع موسى ما خلا النبوة؛ وهَارُونُ صلى الله عليه؛ فقد كان

(١) حديث المنزلة من الأحاديث المتواترة، وله عدة ألفاظ تؤدي نفس المعنى. انظرها في المجموع ص ٢٦٨ رقم ١٤٩، ومناقب الكوفي ١/ ٥٢٤ رقم ٤٥٧، والأمالي الصغرى ص١٠٤، وتيسير المطالب ص ١١٠ رقم ٦٩، والبخاري رقم ٤١٥٤، ٣٥٠٣، ومسلم٤/ ١٨٧٠ رقم ٢٤٠٤، وابن ماجة ١/ ٤٢ رقم ١١٥، ١٢١، والنسائي في الخصائص ٦٠، والطبراني في الكبير ١/ ١٤٦ رقم ١٤٨، و ٢/ ٢٤٧ رقم ٢٠٣٥، و٤/ ٢٠ رقم ٢٢٠، والطبراني في الأوسط ٢٧٢٨، وأبو يعلى رقم ٣٧٩، وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٣٦٩ رقم ٦٩٢٦ ورقم ٦٩٢٧، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٠٨ - ١٠٩، وعبدالرزاق رقم ٢٠٣٩٠، والحميدي في مسنده رقم ٧١، والترمذي ٣٧٣٠ – ٣٧٣١، وأحمد بن حنبل ١/ ٣٧٩ رقم ١٥٤، ١٠/ ٣٠٧ رقم ٢٧١٤٩، وابن ماجة ١/ ٤٥، وأسد الغابة ٤/ ١٠٠، وابن كثير ٥/ ١١، وفتح الباري ٨/ ٩١، والاستيعاب ٣/ ٢٠١، والإصابة ٢/ ٥٠٢، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٩، والجامع الكبير للسيوطي ١٦/ ٢٦ رقم ٧٨٨٧، و ٢/ ١٩٥ رقم ٤٧٩٩، والتاريخ الكبير للبخاري ١/ ١١٥، وابن أبي شيبة ٦/ ٣٦٦ رقم ٣٢٠٧٢، ورقم ٣٢٠٧٥، وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٣ - ٢٥، والبداية والنهاية ٥/ ١١، وكفاية الطالب ٢٨١، وشواهد التنزيل ١/ ١٥٠ رقم ٢٠٤-٢٠٥، والطبري ٣/ ١٠٤، والمناقب لابن المغازلي ٧٩-٨٧ رقم ٤٠-٥٦، وتأريخ دمشق ١/ ٣٠٦-٣٩٣ في ترجمة الإمام علي، وعيون الأثر برقم ٢٩٤، وتأريخ بغداد ٤/ ٢٠٤، والسيرة النبوية لابن كثير ٤/ ١٢-١٣، والاكتفاء ٢/ ٢٧٣، والسيرة الحلبية ٣/ ١٣٢، وحلية الأولياء ٧/ ١٩٦.

يستحق مقام موسىٰ، وكان شريكه في كل أمره، وكان أولىٰ الناس بمقامه؛ وفي ذلك ما يقول موسىٰ عليه السلام حين سأل ذا الجلال والإكرام؛ فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾[طه: ٢٩-٣٥]؛ فقال الله سبحانه: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[طه:٣٦]؛ فأعطاه الله سؤله في إشراكه لهارون في أمر موسىٰ عليه السلام؛ فمن أنكر أَنْ يكون عَلِيٌّ أميرُ المؤمنين أولىٰ الناس بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد رد كتاب الله ذي الجلال والإكرام والطَّوْل، وَأَبْطَلَ قَوْلَ رَبِّ العالمين، وخالف في ذلك ما نطق به الكتاب المبين، وأخرج هارون من أمر موسىٰ كله، وأكذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله، وأبطل ما حكم به في أمير المؤمنين؛ فلا بد أن يكون من كَذَّبَ بهذين المعنيين في دين الله فاجرًا، وعند جميع المسلمين كافرًا [1].

---

(١) يحمل كلام الإمام عليه السلام على من أنكر أن يكون علي عليه السلام أولىٰ الناس بإنكاره لما ورد في شأنه من الآيات والأخبار المعلومة له لما علم من مذهبه عليه السلام =

حدثني أبي، عن أبيه: أنه سئل عن إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام: أفرضٌ هي من الله؟ فقال: كذلك نقول، وكذلك يقول العلماء من آل الرسول عليه وعليهم السلام، قولًا واحدًا لا يختلفون فيه؛ لسبقه إلى الإيمان بالله، ولما كان عليه من العلم بأحكام الله؛ وأعلم العباد بالله أخشاهم لله؛ كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٨] فأخشاهم أهداهم، وأهداهم أتقاهم؛ وقد قال الله سبحانه: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[يونس:٣٥]؛ وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[الواقعة:١٠-١٢].

أنه لا يكفر المخالفين في دلالة النصوص على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام من سائر فرق الأمة قطعاً وإجماعاً من أهل البيت عليهم السلام وسائر الأمة، بل لم يكفر أمير المؤمنين عليه السلام المحاربين له من الفرق الثلاث، ولم يعاملهم معاملة الكفار الخارجين عن الملة، هذا معلوم ضرورة، فلا يمكن أن يحمل كلام الإمام عليه السلام على ظاهره قطعاً. تمت عن شيخنا الإمام مجد الدين المؤيدي رحمه الله تعالى. وفي شرح الفقيه علي بن بلال الآملي ما يفيد ذلك بلفظه أو معناه.

فَأَسْبَقُ المؤمنين إلى ربه أَوْلَاهُمْ جميعًا به، وأدناهم إليه، وأكرمهم عليه.

وَأَكْرَمُ العباد على الله أَوْلَاهُمْ بالإمامة في دين الله؛ وهذا بَيِّنٌ بحمد الله لكل مرتاد طالب، في علي بن أبي طالب، لا يجهله إلَّا متجاهل حائر، ولا ينكر الحق فيه إلَّا لدٌّ مكابر.

وحدثني أبي، عن أبيه: أنه سئل عن من حارب أمير المؤمنين، أو تخلف عنه في حربه، فلم يكن معه ولا عليه؛ فقال: مَنْ حَارَبَهُ فهو حَرْبٌ لله ولرسوله. ومَنْ قعد عنه بغير إذنه؛ فضال هالك في دينه.

وحدثني أبي، عن أبيه: أنه سئل عَمَّنْ شَتَمَ أَميرَ المؤمنين أو قَرَفَهُ[1] استخفافًا بالفضل وأهله، وَجَهْلًا بِمَا جعل الله لأمير المؤمنين عليه السلام من فضله؛ فقال: يَحْكُمُ عليه الإمام بما يرى؛ ويكون بشتمه إياه فَاسقًا كافرًا.

---

(١) في هامش الأصل: بالقاف المعجمة والراء المهملة، أي انتقصه. وفي تاج العروس ١٢/ ٤٢٢: قَرَفَ فُلَانًا: عابَهُ، أَو اتَّهَمَهُ.

فإذا فَهِمَ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام واعتقدها، وقال في كل الأمور سرًّا وعَلَانيَةً بها- وجب عليه التفضيلُ والاعتقادُ والْقَوْلُ بإمامة الحسن والحسين، الإمامين الطاهرين، سبْطَي الرسول الْمُفَضَّلَيْن، اللَّذَيْن أشار إليهما الرسول ودل عليهما، وافترض الله سبحانه حبهما، وَحُبَّ مَنْ كان مثلهما في فعلهما من ذريتهما؛ حين يقول لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى:٢٣]؛ ويقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[التوبة:١١٩]؛ ويقول في جدهما وأبيهما وأمهما وفيهما: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ -إلى قوله- ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[الدهر:٥-٢٩].

وفيهما (ما) يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «كُلُّ بَنِي أُنْثَى يَنْتَمُونَ إِلَى أَبِيهِمْ، إِلَّا ابْنَيْ فَاطِمَةَ؛ فَأَنَا أَبُوهُمَا وَعَصَبَتُهُمَا»[1]؛ فهما ابناه وولداه

(١) الأمالي الاثنينية ٢٤٠ رقم١٦٥، ١٦٦، ومجموع رسائل القاسم ٢/ ٢٢١، وفضائل الصحابة ٢/ ٧٧٦ رقم ١٠٧٠، والطبراني في الكبير ٣/ ٤ رقم ٢٦٣١، وأبو يعلى =

بفرض الله وحكمه؛ وفي ذلك ما يقول الله تبارك وتعالى في إبراهيم صلى الله عليه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنعام:٨٤-٨٥]؛ فَذَكَرَ أن عيسى من ذرية إبراهيم؛ كما موسى وهارون من ذريته؛ وإنما جعله وَلَدَهُ وذُرِّيَّتَهُ بولادة مريم، وكان سواء عنده سبحانه في معنى الولادة والقرابة ولَادَةُ الابن وَولَادَةُ البنت؛ إذ قد أجرى موسى وعيسى مُجْرًى واحدا من إبراهيم صلى الله عليه.

ويقول ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَاب أَهْل الْجَنَّة»[1].

١٢/ ١٠٩ رقم ٦٧٤١، وتأريخ بغداد ١١/ ٢٨٥، وتأريخ دمشق ٣٦/ ٣١٣، ٧٠ ١٤، وتهذيب الكمال ١٩/ ٤٨٣، وانظر الروضة الندية بتحقيقنا ص ٢٦٤.

(١) مجموع الإمام زيد ٢٦٨ رقم ٦٤٨، وأمالي أبي طالب ٣٤٨ رقم ٣٨٠، وصحيفة الرضا ٦١ رقم ٥٤، ومناقب الكوفي ٢/ ٥١٥ رقم ١٠١٩، والأمالي الاثنينية ٥١٤ رقم ٦٠١٦، ورأب الصدع ٤/ ٢٩٨، والاعتبار وسلوة العارفين ٦٦٣ رقم ٥٢٩، ومسند أحمد ٤/ ١٢٥ رقم ١١٥٩٤، وفضائل الصحابة ٢/ ٩٧٢ رقم ١٣٦٨، والترمذي ٥/ ٦١٩ رقم ٣٧٨١، وابن حبان ١٥/ ٤١٣ رقم ٦٩٦٠، والحاكم ٣/ ٣٨١، وابن ماجة ١/ ٤٤ رقم ١١٨، وغيرهم.

ويقول: «إنِّي تَارِكٌ فيكُمْ مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ به لَنْ تَضلُّوا منْ بَعْدي أَبَدًا: كَتابَ الله، وَعترَتي أَهْلَ بَيْتي؛ إنَّ اللَّطيفَ الْخَبيرَ نَبَّأَني أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرقَا حَتَّىٰ يَردَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[1].

ويقول ﷺ: «مَثَلُ أَهْل بَيْتي فيكُمْ كَمَثَل سَفينَة نُوح: مَنْ رَكبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرقَ وَهَوَىٰ»[2].

---

(١) مجموع الإمام زيد ٢٦٦ رقم ٦٤٤، ومجموع رسائل الإمام زيد ٢٠٦، ومجموع رسائل القاسم ٢/ ٢٢١، وصحيفة الرضا ٦٢ رقم ٦٣، وأمالي أبي طالب١٤٧ رقم ١١٥، والأمالي الخميسية ١/ ١٤٩، ومناقب الكوفي ٢/ ٩٨ رقم ٥٨٤، ومسلم ٤/ ٨٧٣ رقم ٢٤٠٨، وابن خزيمة ٤/ ٦٢ رقم ٢٣٥٧، وعبد بن حميد ١/ ١١٤ رقم ٢٦٥، والترمذي ٥/ ٦٢١ رقم ٣٧٨٦، وأحمد ٤/ ٣٠ رقم ١١١٠٤، وفضائل الصحابة ٢/ ٩٩٠رقم١٤٠٦،والحاكم ٣/ ١٤٨ ، **وقد** ذكرنا أكثر مصادره في تحقيقنا للروضة الندية ٢٦٧، فراجعها، **وجمعناه** أيضا في كتيب من جميع المصادر الحديثية. طبع وصدر عن مكتبة بدر.

(٢) صحيفة الرضا ٦٢ رقم ٦١، ومناقب الكوفي ١/ ٢٩٦ رقم ٢٢٠، والأمالي الخميسية ١/ ١٥١، ١٥٤، ١٥٦، وأمالي أبي طالب ٢٠٠ رقم ١٣٧، وفضائل الصحابة لأحمد ٢/ ٩٨٧ رقم ١٤٠٢، والأوسط للطبراني ٦/ ٨٥ رقم ٥٨٧٠، والكبير ٣/ ٤٦ رقم ٢٦٣٨، والمستدرك ٣/ ١٥٠، وحلية الأولياء ٤/ ٣٠٦ وغيرها.

ويقول ﷺ: «مَا أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْت أَحَدٌ فَزَلَّتْ به قَدَمٌ إلَّا ثَبَّتَتْهُ قَدَمٌ، حَتَّىٰ يُنَجِّيَهُ اللهُ يَوْمَ الْقيَامَة»(١).

وفيهم يقول: «النُّجُومُ أَمَانٌ لأَهْل السَّمَاء، فَإذَا ذَهَبَت النُّجُومُ منَ السَّمَاء أَتَىٰ أَهْلَ السَّمَاء مَا يُوعَدُونَ، وَأَهْلُ بَيْتي أَمَانٌ لأَهْل الأَرْض؛ فَإذَا ذَهَبَ أَهْلُ بَيْتي منَ الأَرْض أَتَىٰ أَهْلَ الْأَرْض مَا يُوعَدُونَ»(٢).

قال يحيىٰ بن الحسين ؒ: أولئك الصالحون من آله صلىٰ الله عليه وعليهم أجمعين، وما جاء لهم من الذكر الجميل في كتاب الله ذي الجلال والإكرام، وما قاله فيهم الرسول ﷺ مما يطول به الكتاب، وتتصل به الأقاويل في كل الأسباب، مما يجزئ قليله عن كثيره، ويكتفي أهل الإيمان عن كثيره بيسيره.

---

(١) في المتفق والمفترق للخطيب رقم ٢٧٦ **قال** رسول الله ﷺ: «مَا ثَبَّتَ اللهُ حُبَّ عَليٍّ في قَلْب مُؤْمن فَزَلَّتْ به قَدَمٌ إلَّا ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْه يَوْمَ الْقيَامَة عَلَىٰ الصِّرَاط».

(٢) مناقب الكوفي ٢/ ١٣٣ رقم ٦١٨، والأمالي الخميسية ١/ ١٥٢، وصحيفة الرضا ٦١ رقم ٥٧، والمستدرك ٢/ ٤٨٦، وتاريخ دمشق ٤٠/ ٢٠، وأبو يعلىٰ ١٣/ ٢٠٨ رقم ٧٢٧٦، والمعرفة والتأريخ للفسوي ١/ ٢٩٤.

فإذا أقام معرفة وَلَايَتهمَا، وقال بتَفْضيلهمَا وَإمَامَتهمَا - وجب عليه أن يعرف أولي الأمر من ذريتهما، الذين أُمرَ الخلقُ بطاعتهم؛ فَيَعْلَمَ أن الأمر والنهي والحكمة والإمامة من بعدهما في ذريتهما دون غيرهما؛ لا تجوز إلا فيهم، ولا تُرَدُّ إلا إليهم، وأن الإمام من بعدهما من ذريتهما مَنْ سار بسيرتهما، وكان مثْلَهُمَا، واحتذىٰ بحذوهما؛ فكان وَرعًا تَقيًّا، صحيحًا نقيًّا، وفي أمر الله سبحانه جَاهدًا، وفي حطام الدنيا زاهدًا، وكان فَهمًا بما يَحْتَاجُ إليه، عَالمًا بتفسير ما يَردُ عليه، شجاعًا كَميًّا، بَذُولًا سَخيًّا، رَؤُوفًا بالرعية رحيمًا، مُتَعَطِّفًا مُتَحَنِّنًا حَليمًا، مُسَاويًا (مُوَاسيًا) لهم بنفسه، مُشْركًا لهم في أمره، غَيْرَ مُسْتَأْثر عليهم، ولا حَاكم بغير حكم الله فيهم، قَائمًا شَاهرًا لسَيْفه، دَاعيًا إلىٰ ربه، رَافعًا لرَايَته، مُجْتَهدًا في دعوته، مُفَرِّقًا للدُّعَاة في البلاد، غَيْرَ مُقَصِّر في تَأْليف الْعبَاد، مُخيفًا للظالمين، ومُؤَمِّنًا للمؤمنين، لا يُؤَمِّنُ الْفَاسقينَ وَلَا يَأْمَنُونَهُ، بل يَطْلُبُهُمْ وَيَطْلُبُونَهُ؛ قد بَايَنَهُمْ وَبَايَنُوهُ، وَنَاصَبَهُمْ وَنَاصَبُوهُ؛ فَهُمْ لَهُ خَائفُونَ، وعلىٰ إهْلَاكه

جَاهِدُونَ، يَبْغِيهُمُ الْغَوَائِلَ، ويَدْعُو إِلَىٰ جِهَادِهِمُ الْقَبَائِلَ، مُتَشَرِّدًا عَنْهُمْ، خَائِفًا مِنْهُمْ، لا يَرْدَعُهُ عَنْ أَمْرِ اللهِ رَادِعٌ، ولا تَهُولُهُ الْأَخْوَافُ، ولا يَمْنَعُهُ عَنِ الاجْتِهَادِ عَلَيْهِمْ كَثْرَةُ الْإِرْجَافِ، شَمِّرِيٌّ مُشَمِّرٌ[1]، مُجْتَهِدٌ غَيْرُ مُقَصِّرٍ.

فمن كان كذلك مِنْ ذُرِّيَّةِ السِّبْطَيْنِ، الحسن والحسين- فهو الْإِمَامُ الْمُفْتَرَضَةُ طَاعَتُهُ، الْوَاجِبَةُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ نُصْرَتُهُ.

- فتجب طَاعَتُهُ عَلَىٰ الأمة والْمُهَاجَرَةُ إليه، وَالْمُصَابَرَةُ معه ولديه؛ فَمَنْ فعل ذلك من الأمة (معه) مِنْ بَعْدِ أَنْ (قَدْ) أَبَانَ لهم صَاحِبُهُمْ نَفْسَهُ، وَقَصَدَ رَبَّهُ، وَشَهَرَ سَيْفَهُ، وَكَشَفَ بِالْمُبَايَنَةِ للظالمين رَأْسَهُ- فقد أَدَّىٰ إِلَىٰ اللهِ فَرْضَهُ.

(ومَنْ قَصَّرَ عن ذلك ولم يُنَصِّبْ نَفْسَهُ لله، ويُشْهِرْ سَيْفَهُ له، ويُبَاين الظالمين ويُبَايِنُوهُ، ويُبَيِّنْ أَمْرَهُ، وَيَرْفَعْ رَايَتَهُ؛ لِيُكْمِلَ الحجة

(١) شَمَّرِيٌّ، شمَّريٌ، شمِّريٌ، شُمُّريٌ، ومُشَمِّرٌ: ماض في الأمور والحوائج. لسان العرب ٤/ ٢٤٢.

لربه على جميع بَريَّته؛ بمَا يُظْهِرُ لهم من حسن سيرته، وظاهر ما يبدو لهم من سريرته)[1] - ومَنْ قَصَّرَ في ذلك- كانت الْحُجَّةُ لله عليه قَائمَةً سَاطعَةً، مُنيرَةً بَيِّنَةً قَاطعَةً؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الانفال:٤٢].

مثل من قام من ذريتهما من الأئمة الطاهرين الصابرين لله المحتسبين:

مثل زيد بن علي[2] رضي الله عنه إمام المتقين، والقائم بحجة رب العالمين.

---

(١) ما بين القوسين أخرناه من قبل قوله: فتجب طاعته على الأمة ... إلخ؛ لأن الفقرة غير مناسبة هناك.

(٢) الإمام الأعظم الثائر الشهيد أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام كان عالمًا خطيبًا فقيهًا محدثًا مفسرًا، وهو حليف القرآن، ولد بالمدينة، وأقام بالكوفة، ورضع العلم من بيت النبوة على يد والده وأخيه الباقر، وثار على الظلم، ورفع راية الجهاد ضد بني أمية في عهد هشام بن عبد الملك، وبايعه أهل الكوفة أربعون ألفًا على الدعوة إلى الكتاب والسنة وجهاد الظالمين، ونصرة المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسم الفيء، ورد المظالم، ونصرة أهل البيت، وخاض معركته في الكوفة حتى استشهد عليه السلام، وحمل ونصب رأسه على باب دمشق، أما جسده الشريف فقد صلب بالكناسة بالكوفة فترة طويلة، ثم أحرق وذُرَّ رماده في الفرات. له الكثير من

=

ومثل يحيى ابنه[1]، المحتذي بفعله، ومثل محمد بن عبد الله[2]،

المؤلفات منها: «تفسير غريب القرآن» مطبوع، ومجموعه الحديثي الفقهي الشهير المعروف بـ(مسند الإمام زيد)، محقق لدينا، وكثير من الرسائل طبعت في مجلد، وإلى هذا الإمام العظيم ينتمي أتباع المذهب الزيدي. وأخباره أكثر وأظهر من أن تذكر في هذه العجالة. الإفادة ٤٥، ومقاتل الطالبيين١٢٧، والمصابيح ٣٨٥، والحدائق الوردية١/ ٢٤١، والتحف٦٣.

(١) الإمام أبو طالب يحيى بن الإمام زيد بن علي عليهما السلام، ولد٩٧هـ. كان عليه السلام قطط الشعر، حسن اللحية حين استوت، وكان مثل أبيه في الشجاعة، وقوة القلب، ومبارزة الأبطال. ومن كلامه لأصحابه في بعض مواقفه: يا عباد الله، إن الأجل محضرة الموت، وإن الموت طالب حثيث، لا يفوته هارب، ولا يعجزه مقيم، فأقدموا رحمكم الله إلى عدوكم، والحقوا بسلفكم، الجنة الجنة ... أقدموا ولا تنكلوا؛ فإنه لا شرف أشرف من الشهادة.. في كلام له، وقال:

يا ابن زيد أليس قد قال زيد ... من أحب الحياة عاش ذليلا

كن كزيد فأنت مهجة زيد ... تتخذ في الجنان ظلًّا ظليلا

استشهد: وعمره ٢٨سنة في أيام فرعون هذه الأمة، الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأُموي، بعد صلاة الجمعة، في شهر رمضان سنة١٢٦هـ، وقد رأى قاتله في منامه أنه يقتل نبيًا. ومشهده بأنبير في أفغانستان. الإفادة ٥١، ومقاتل الطالبين١٥٢، والحدائق الوردية ١/ ٢٦٨، والمصابيح٤١٤، والتحف٧٦.

(٢) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب النفس الزكية، صريح قريش، كان غزير العلم، وافر الفهم، شجاعًا، فارسًا، خطيبًا، بارعًا. قام بالإمامة في جمادى ١٤٥،

=

وإبـراهيم أخيـه[1] المُجْتَهِـدَيْن لله، المُـصَمِّمَيْنَ في أمـر الله، اللَّـذَيْن لم تَأْخُذْهُمَا في الله لَوْمَةُ لائم، اللَّذَيْن مَضَيَا قُدُمًا قُدُمًا، صَابرَيْن مُحْتَسبَيْن، وقد مُثِّلَ بآبائهما وعمومتها أَقْبَحُ المُثُل! وقُتلوا أفحش القتل! فما ردعهما ذلك عن إقامة أمر خالقهما، والاجتهاد في رضا ربهما؛ فصلوات الله على أرواح تلك المشائخ وبركاته؛ فلقد صبروا الله واحتسبوا، وما

وبايعته المعتزلة مع الزيدية وفضلاء الأئمة، وخرج معه جعفر الصادق، ثم رجع لكبر سنه، وأخرج معه ولديه موسى الكاظم، وعبدالله، **وكان** مالك بن أنس يفتي بالخروج معه. استشهد في ١٥ رمضان سنة ١٤٥ هـ، وقيل: سنة ١٤٦ هـ، وله كتاب السير. ينظر الإفادة ٥٥، والحدائق الوردية ١/ ٢٧٣، ومقاتل الطالبيين ٢٣٢، والشافي ١/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٢١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢١٠، وطبقات ابن سعد ٥/ ٤٣٨، والتحف ٧٧.

(١) ابراهيم بن عبدالله النفس الرضية، كان عالمًا فاضلًا، خطيبًا مصقعًا، شاعرًا مفلقًا، شجاعًا، لا يبالي دخل على الموت أو خرج الموت إليه، دعا بعد مقتل أخيه النفس الزكية، وبايعه علماء البصرة وعبادها وزهادها، واجتمع معه من الزيدية والمعتزلة وأصحاب الحديث مالم يجتمع مع أحد من أهل بيته، استشهد في ١ ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ بباخمرا، في المعركة التي كانت بينه وبين عيسى بن موسى قائد جيوش أبي الدوانيق أبي جعفر المنصور، وكاد إبراهيم يسحقهم لولا القدر المعاكس، ودفن هناك. الإفادة ٦١، ومقاتل الطالبيين ٤٥٠، والحدائق الوردية ١/ ٢٩٩، ومروج الذهب ٣/ ٣٠٦، والشافي ١/ ٢٣٧، والمصابيح ٤٤٥، والتحف٩٧.

وَهَنُوا، وَلَا جَزِعُوا، بَلْ كانوا كما قال الله وذكر عمن مضى من آبائهم حين يقول: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٦].

ومثل الحسين بن علي الفَخِّيِّ[1] الشهيد المُحْرِمُ، المتجرد لله سبحانه المصمم، الباذل نفسه لله في عصابة قليلة من المؤمنين،

---

(١) أبو عبدالله الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام، كان يقسم بالله إنه يخاف أن لا تقبل منه صدقاته؛ لأن الذهب والفضة والتراب عنده بمنزلة واحدة. دعا في المدينة سنة ١٦٩هـ. وبايعه من أهل البيت موسى الكاظم، وعبدالله بن الحسن الأفطس، وأخوه عمر، والإمام يحيى، والإمام إدريس، وسليمان أبناء عبدالله الكامل بن الحسن بن الحسن، وإبراهيم بن إسماعيل - والد الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي، وغيرهم من أعلام أهل البيت وأوليائهم رضي الله عنهم. وخرج إلى مكة فلقيهم الجيش العباسي بفخ، وهو محرم هو وأصحابه بالحج، وكانوا عدة أهل بدر، وجرى القتال بينهم يوم التروية، وقتل وله من العمر ٤١ سنة، سلام الله عليه. وقد مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فخ وصلى فيه، فلما كان في الركعة الثانية بكى، فبكى الناس، فلما أتم صلاته، قال: ما يبكيكم؟ قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله، قال: نزل عليَّ جبريل - لما صليت الركعة الأولى - فقال: «يَا مُحَمَّدُ، إنَّ رَجُلًا مِنْ وَلَدِكَ يُقْتَلُ في هَذَا المَكَان، وَأَجْرُ الشَّهيد مَعَهُ أَجْرُ شَهيدَيْن» رواه في مقاتل الطالبيين ص٢٩٠. وينظر الإفادة ٧٠، وأخبار فخ ١٣١، والحدائق١/ ٣١٧، والمصابيح٤٦٣، والتحف ١٠٨.

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويَضْرِبُونَ ويُضْرَبُونَ؛ حتى لَقُوا اللهَ على ذلك وقد رضي عنهم، وَقَبِلَ فعْلَهُمْ منْهُمْ؛؛ فرحمة الله وبركاته عليهم.

فيحيى بْنُ عبد الله بن الحسن[1] الْقَائمُ لله المحتسب، الصابر لله

(١) أبو الحسين، وقيل: أبو عبد اللهّ، يحيى بن عبد اللهّ بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. شهد فخًّا مع الإمام الحسين بن علي الفخي عليه السلام، واستتر بعدها، وظل يبحث عن مكان إلى أن استقر به المطاف في جبل الديلم، وكان هارون يبحث عنه، وينفذ العيون والجواسيس لمعرفة أخباره، فوقف على أنَّهُ حصل في جنبة ملك الديلم مع سبعين من أصحابه، واحتال هارون لإخراج الإمام من استتاره بكتابة أمان لا مجال فيه للتأويل ولا مزيد عليه في التوثقة، فقدم بغداد، وأعطاه هارون مالًا عظيما، ثم خرج إلى المدينة، وفرق ذلك المال في مستحقي أهل بيته، وقضى ديون الحسين بن علي الفخي، ولما لم يأمن هارون جانبه احتال في نقض الأمان، وجمع الفقهاء واستفتاهم فيه، فقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة: هذا أمان لا سبيل إلى نقضه، وكذلك قال الحسن بن زياد، وأفتى أبو البختري بجواز نقض الأمان، وأخذ الكتاب ومزقه، فولاه هارون قضاء القضاة، ومنع محمد بن الحسن من الفتيا مدة، وحبس الإمام يحيى بن عبدالله في أضيق الحبوس، وله قصص يطول ذكرها مما جرى في حبسه، إلى أن سقي السم وهو في السجن ببغداد، وقيل: إنه خنق، وقيل: إنه وجد بين اسطوانتين في القصر المعروف بالقرار عندما خرب في القتال بين الأمين والمأمون. الإفادة ٧٤، ومقاتل الطالبيين ٤٣٦، والمصابيح ٤٦٣، والحدائق الوردية ١/ ٣٢٩، والتحف ١١٢.

على الشدة والغضب. فمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل[1]، القائم بحجة الله الجليل، الداعي إلى الحق، والناهي عن الفسق، المتفرد لله الصابر له في كل أمره، الحاكم في كل الأمور بحقه.

ومثل القاسم بن إبراهيم[2]، الفاضل العالم الكريم، المجرد

(١) أخو القاسم بن إبراهيم، ولد عام ١٧٣ هـ وكان من فضلاء الآل في عصره، دعا في الكوفة وبايعة جلة أهل البيت وكثير من العلماء، وأرسل أخاه القاسم بن إبراهيم إلى مصر للدعاء إلى الله وبعث زيد بن موسى الكاظم إلى البصرة، ومن بايعه محمد بن محمد بن زيد بن علي، ومحمد بن جعفر الصادق، وعلي بن عبيدالله الحسين، ويحيى بن آدم، وأبو بكر وعثمان أبناء أبي شيبة، والفضل بن دكين، وكانت دعوته في أيام المأمون العباسي في جمادى الأول سنة ١٩٨ هـ، وسيطر على الكوفة بعد عدة وقعات من جنود العباسية، وكان قائد جنده فيها أبو السرايا السري بن منصور. وتوفي عليه السلام شهيدًا لليلة خلت من رجب سنة١٩٩ هـ وعمره سنة ٢٦. المصابيح صـ٥١٤ رقم ١٩، ومقاتل الطالبين ٤٢٤ -٤٣٨ والحدائق الوردية ١/ ٣٦٠، والتحف ١٤٤، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٤٤.

(٢) الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالرَّسِّيِّ؛ لتمركزه في جبل الرس بالقرب من ذي الحليفة على ستة أميال من المدينة غربًا، وهو من أقمار العترة الرضية، انتهت إليه الرئاسة في عصره، وتميز بالفضل على أبناء دهره، ولد سنة ١٧٠ هـ، ودعا إلى الله سنة ١٩٩ هـ، وله مواقف وجولات وصولات مع بني العباس، ولبث في دعاء الخلق إلى أن توفي في جبل الرس =

لسيفه، الباذل لنفسه، المباين للظالمين، الداعي إلى الحق المبين، صلوات عليهم ورحمته أجمعين.

فمن كان كذلك من ذرية الحسن والحسين -فهو إمام لجميع المسلمين؛ لا يسعهم عصيَانُهُ، ولا يحل لهم خذْلَانُهُ؛ بل تجب عليهم طاعته وموالاته؛ ويعذب الله من خذله، ويُثيبُ مَنْ نَصَرَهُ، ويتولى مَنْ تولاه، ويعادي مَنْ عاداه.

فأما مَنْ عَبثَ بنفسه وَتَمَنَّى، وأقام في أهله وولده وَتَلَهَّى، وساير الظالمين وداجاهم، وقضوا حَوَائجَهُ وقضى حَوَائجَهُمْ، وعاشروه وعاشرهم، وأَمَّنُوهُ وأَمَّنَهُمْ، وَكَفُّوا عنه وكَفَّ عنهم، وغَمَدَ سَيْفَهُ، وطوى رَايَتَهُ، وستر منهم نفسه، وَمَوَّهَ على الجهال،

سنة ٢٤٦هـ، وهو الصحيح، أقام بمصر نحو عشرين سنة، وكان فقيها، محدثا، مناظرا، مجاهدا، شاعرا، زاهدا. وله ﷺ مؤلفات منها: الدليل الكبير، والدليل الصغير، والعدل والتوحيد، والرد على ابن المقفع، والرد على النصارى... وقد طبعت بعض رسائله في مجلدين. الحدائق ٢/ ١، والإفادة ٨٨، والمصابيح ٥٥٥، والتحف ١٤٥، والشافي ١/ ٢٦٢، والأعلام ٥/ ١٧١.

وأهل الغفلة من الضُّلَّال، وادعى الإمامة وَوَهَّمَهُمْ أنه يريد القيام، وهو عند الله من القاعدين النِّيَام، ذوي الفترة والْوَنَى، طُلَّاب الراحة والرخا! وهو يُظْهِرُ للرعية ويُعَرِّضُ لهم ويُدْخِلُ قلوبهم أنه قائم غَيْرُ قاعد، وأنه مباين للظالمين مجاهد؛ يوهمهم ذلك، ويُعَرِّضُ لهم أنه كذلك؛ ليَحْتَلِبَ من دَرِّهِمْ حَلْبًا وَخيمًا دَويًّا، وَيَأْكُلَ بذلك من أموالهم حَرَامًا دَنيًّا؛ قد لَبَّسَ عليهم أمورهم بتمويهه عليهم، وقعد لهم بطريق رُشْدهمْ: يصدهم بتمويهه عن ربهم، ويمنعهم بتلبيسه عليهم: من أداء فرضهم، والقيام بما يجب لخالقهم؛ فهو دائب في التحيل لأكل أموالهم؛ بما يُلَبِّسُ عليهم من أحوالهم، وبتمويهه لجهالهم أنه قائم غير قاعد، وأنه أَحَدُ يَوْمَيْه ناهض على الظالمين مجاهد؛ والله يعلم من سرائره، وباطن أمره غَيْرَ ما يوهم الجاهلين؛ ويكتبه بذلك عنده أنه من الصَّادِّينَ عن سبيله، الذين يبغونها عوجًا؛ فهو يُهْلِكُ نفسه عند ربه بفعله وفعل غيره: يفرق عن الحق والمحقين الأنام، ويجمع بذلك عليهم الآثام، ويُمَكِّنُ

(بذلك) دَعْوَةَ الظالمين، ويُقيمُ عُمُدَ مُلْك الفاسقين، ويُوَهِّنُ دعوة الحق المبين؛ بما يُمَوِّهُ به على الجاهلين؛ للترؤس عليهم، وأكل أوساخ أيديهم: يأكل سُحْتًا تَافهًا حَرَامًا، ويجترم العظائم بالصد عن الله العظيم اجترامًا.

يُفَرِّقُ كلمة المؤمنين، ويشتت رأي المسلمين، ولا يألو الْحَقَّ خَبَالًا، يَتَأَوَّلُ في ذلك التأويلات (الكاذبات)، ويَتَقَحَّمُ على الله فيه بالْقُحَمات. ضَميرُهُ إذا رجع إلى نفسه، وناقشها في كل فعله، وأوقفها على خفي سره - مُخَالفٌ لظاهره. وَفعَالُهُ في باطنه؛ فَغَيْرُ ما يبديه للناس في ظاهره،؛ يُخَادِعُ اللهَ والذين آمنوا وما يخادع إلا نفسه؛ كما قال الله سبحانه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾[البقرة:٩-١٠]؛ كأن لم يسمع الله عز وجل يقول: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[الملك:١٣]؛ فهو يمكر بالله وبالمؤمنين، والله يمكر به وهو خير الماكرين؛ فهو في بلية من نفسه: منْ

تَحَيُّله لديناره ولدرهمه، وَالاسْتدَامَة لَمَا هو عليه وفيه من تافه نعمته؛ يلبس الحرير والديباج والقز، ويلتحف ويفترش السَّمُّورَ والفَنَكَ[1] والخَزَّ، لا يَرْتَمِضُ[2] في أمور الله، ولا يُصْلحُ شأن عباد الله!

فأين مَنْ كان كذلك فقط منَ الإمامة؟! كَلَّا لَعَمْرُهُ إنه عنها لبعيد مُجَنَّبٌ، ومنها غَيْرُ دان ولا مُقَرَّبٌ، وَإنْ لعب بنفسه، وخدع مَنْ كان منْ شَكْله؛ بزُخْرُف قوله وكذبه، واجترائه على ربه؛ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾[الفرقان:٦٨-٦٩]؛ فلعمري إن من كان كذلك فقط لَبَعيدٌ عما يدعي وينتحل مما لم يجعله الله له أَهْلًا، ولم يَشْرَعْ لَهُ إليه سَبيلًا؛ فكيف لو ذكرنا بَعْضَ ما يُذْكَرُ عن بعض مَنْ يَدَّعي ذلك من الغلو والمهالك؛ مما ينقله عنهم أشياعهم، ويذكره من قولهم في

(١) السَّمُّورُ: دابة يُتَّخَذُ من جلدها فَراءٌ مُثْمنَةٌ. القاموس ٣٨٢. والفَنَكُ: دابة يلبس جلدها. وفي نسخة: الفتك، وتفتيك القطن نفشه. وفي هامش الأصل: الفنك: دابة فروتها أطيب أنواع الفراء وأشرفها وأعدلها. اهـ ينظر لسان العرب ١٠/ ٤٨٠.

(٢) ارْتَمَضَ الرجل من كذا: أَي اشْتَدَّ عليه وأَقْلَقَهُ. لسان العرب ٧/ ١٦٠.

أنفسهم أَتْبَاعُهُمْ؛ ممَّا نرجو أن يكونوا عليهم فيه كاذبين، وبغير الحق فيهم قائلين: من ادِّعَاء صفَات الجبار، وَالْمُشَارَكَة له في علم خفيات الأسرار، والاطلاع على ما أَجَنَّتْ(عليه) بُطُونُ الْبحَار، والقدرة على صَرْف ما يشاء صَرْفَهُ، وإثبات ما يشاءُ إِثْبَاتَهُ! وغير ذلك من إباحة الفروج، وإظهار الفواحش والهروج [الفتن]، وتناول الشهوات، وارتكاب اللذات: منْ معاصي الرحمن، وما تنهى عنه آيات القرآن، وتَرْك الصلوات، وغلول الزكوات، ورَفْض صيام شهر رمضان، وتَعْطيل كل ما نطق به الفرقان، وترك الاغتسال من الجنابات، وارتكاب جميع الفاحشات! وغَيْر ذلك مما يَجُلُّ ذكْرُهُ، ويَعْظُمُ أَمْرُهُ من الغلو والمنكر.

وذلك أنهم في أصل قولهم يقولون: اعْرفْ إمَامَكَ وَاعْمَلْ مَا شئْتَ غَيْرَ مُعَاقَب ولا مَأْثُوم[1]؛ وذلك من قولهم عند جميع الأمة فَمَعْلُومٌ! مع ما يأتون به ويقولونه من الكفران، والافتراء على الله

(١) في هامش (أ): ظاهر أنه مذهب الباطنية والصوفية الغلاة.

والْجُحْدان للرحمن، وجَعْلهمْ لخالقهم بزعمهم جسْمًا ينتقل في صور الآدميين ويؤاكلهم ويشاربهم، (ويؤاخيهم) ويداخلهم ويخارجهم، ويبايعهم ويُشَارِيهِمْ! ويجعلونه مَرَّةً موسىٰ، وثَانيَةً عيسىٰ، وثَالثَةً عَليًّا! ينتقل في صور الآدميين، وكذلك رووا عن الشياطين، أنها تتصور في صُوَر المَرْبُوبينْ! فتبارك الله عن ذلك رَبُّ العالمين! وَتَقَدَّسَ عما يقول به فيه الجاهلون، ويَنْسبُ إليه الضالون.

فيا لَمَنْ قال بذلك الْوَيْلُ الطَّويلُ، والْعَوْلُ والعذابُ الجليلُ؛ لقد أتىٰ شَيْئًا إدًّا، ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾[مريم:٩٠].

فإذا علم المسترشد ذلك وعرف كل من ذكرنا بصفاتهم، ووقف علىٰ أولي الأمر منهم بدلالتهم، ودان الله سبحانه بولايتهم- وجب عليه من بعد ذلك أَنْ يعتقد معرفة فضل الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأَنْ يَعْلَمَ أن ذلك أَكْبَرُ فروض الله المفترضة عليه؛ فَيُظْهرَ جهَادَ الظالمين، ويَنْويَ مباينة الفاسقين: بيده ولسانه وقلبه، وبما يقدر عليه من طاقته.

ثم يجب عليه أن يَتَطَهَّرَ للصلوات بطهورهن، ويُصَلِّيَهُنَّ ويُقيمَهُنَّ بحدودهن، ويُحَافظَ عليهن في الأوقات اللواتي جعلها الله لهن أوقاتًا من الساعات.

وَأَنْ يُؤَدِّيَ ما أمر الله به من الزكوات على ما شَرَعَهُ الرسول ﷺ، وَجَعَلَهُ فَرْضًا مُثْبَتًا على ذوي المقدرات من الأنام.

وَأَنْ يَصُومَ شهر رمضان، الذي افترض صومه الواحد الرحمن.

وَأَنْ يَحُجَّ إلى البيت المعمور، ويُؤَدِّيَ جميع ما افترض عليه الله في حجه من الأمور.

وَأَنْ يفعل كل ما أمره الله ورسوله بفعله، وَأَنْ يَتْرُكَ كُلَّ ما أمره الله ورسوله بتركه.

ويَقُولَ الحق ولو على نفسه، ويُقيمَ الشهادة ويَأْتِيَ بها على وجهها.

ويُؤَدِّيَ الأمانة، ويَعْتَزِلَ الخيانة، وَيَبرَّ والديه، ويَصِلَ رَحِمَهُ؛ فإذا فعل ذلك وكان حَقًّا كذلك- فهو المؤمن حَقًّا حَقًّا، المُتَعَبِّدُ لله بما أمره به سبحانه صِدْقًا.

(فإذًا) قد صح له اسم الإيمان، ووجب له على الله الثواب

والإحسان، وكان من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ثم يجب عليه من بعد ذلك النظر فيما يَحْتَاجُ إليه من أمره: من حلاله وحرامه، وجميع أسبابه؛ فإن الله جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله- لا يرضىٰ لعباده المؤمنين، وأوليائه الصالحين الْجَهْلَ والنُّقْصَانَ، بل يشاء منهم التَّزَيُّدَ في كل خير وإحسان؛ فيجب عليه أَنْ يَطْلُبَ من ذلك ما ينبغي له طَلَبُهُ منْ علْم أهل بيت نبيه ﷺ فَيَتَّبعَ من ذلك أحسنه، وأقربه إلىٰ الكتاب؛ فإن الله سبحانه يقول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وسنضع- إن شاء الله، بتوفيق الله- من ذلك ما ينتفع به في الدين والدنيا، ونقول فيه بما يَثْبُتُ ويُنيرُ في قلب مَنْ كان ذَا حجَا، والقوة بالله وله، وإياه نستعين في كل أمورنا، وعليه نعتمد في كل شأننا، وحسبنا الله وكفىٰ، ونعم الوكيل، عليه توكلنا، وهو رب العرش العظيم.

قَائِمَةُ المحتويات

نبذة عن الإمام الهادي ٣

نسبه : ٣

مولده ونشأته : ٣

ثناء العلماء عليه : ٤

ورعه : ٤

دعوته ودخوله اليمن : ٥

شعره : ٨

وفاته : ١١

مؤلفاته : ١١

مقدمة كتاب الأحكام ١٧

مُقدِّمة
كتاب الأحكام

تأليف

الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم
بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام..

(٢٤٥ - ٢٩٨هـ)